

حتى أعمت الأمم عن النظر في مصالحها العامة ، وآثرت عليه
النظر في مصالحها الحزبية ، وحتى ثارت في كل أمة خصومات
وخلافات خطيرة تفرق كلمتها ، وتقضى على الأخضر واليابس
فيها ، لأن الحكومة تقوم فيها على أساس الحزبية ، فكل حزب
يعمل كل ما يوصله إلى الحكم ، ويرى مصلحته في هذا فوق
غيرها من المصالح

وقد أخذنا نعلمنا الحديثة في الشورى عن تلك الأمم ،
وقلدناها في تلك السياسة الحزبية العمياء ، فضللنا وجه الصواب
كما ضلت ، وأخذنا نتخبط في حكمنا مثلها تخبطا مميها ، حتى
اضطربت أمور الحكم فينا ، وحرمتنا من الاستقرار الذى
نتفرغ فيه لمصالحنا

ولو رجعنا إلى السيرة النبوية لوجدناها قد سنت نظام الشورى
على وجه يسود فيه التسامح ، ولا يفلو فيه التمسك للرأى إلى
ذلك الحد المعب ، فسارت سياسة الحكم في هدوء ، واستقر
الأمر استقراراً ظهر فيه الحق بوضوح ، فلم يعمه عن أهين
الناس تمسك للرأى ، ولم يصرف الأمة عن مصلحتها العامة
مثل ذلك التفانى في الخلاف

نظام الشورى في الإسلام

بين الكثرة والقلّة

للأستاذ عبد المتعال التميمي



كم في السيرة
النبوية من أسرار
تشريعية لو رجعنا
إليها لأغنتنا عن
الاستعانة بغيرها
من التشريعات
المنحرفة ، في عصر
ضلت فيه السياسة
ضلالاً بعيداً ،
وطغت فيه
التمصبات الحزبية

« فأتالمكت أن قلت لكم : ما تقولين ؟ وأى شئ
هذا الذى كان بين مطرفي السابغ والثامن ؟ قالت كنتم رويدك
يا عمر ، إما أن تدعى أمّ وإلا والله لاسمعت منى شيئاً حتى
يقطع الموت بيني وبينك . قالت : ويحك ، فأبني :

قالت كنتم . « ثم إنى سألت صهباء عن سيدها ومولاها ،
فقالت إنه رجل صالح يسبح في الأرض ، وإنه قد جاء فحج
حجّته وهو على سفيره بمد قليل بضرب في البادية حيث
يشاء الله . قلت لها : أو يعلم مولاك من أمر ما يحدثني عنه
أكثر مما قلت ؟ قالت : لأدرى يا مولاتي ، فإنه ربما دعاني
ويجمل يحدثني ويحدثني حتى أقول إن يسكت ، وما هو
إلا كخاطفة البرق حتى يقطع فلا يتكلم . فربما عدت فسألته فلا
والله ما يزيد على أن ينظر إلى ويتسم . قلت لها : أو تستطيعين
يا صهباء أن تأتيني بمولاك ، ولك عندي مائة دينار ؟ كلا لا نلت
من مال مولاتي شيئاً ، ولكني سأديره حتى يأتيك لما أرى في
وجهك من الخير والسعد

عمرو محمد مذكر

(البقية في العدد القادم)

مولاي مما سمعته منه ؟ قالت ظمياء : فذنت منى ونظرت في
عينين ممدورتين يخفّق فيهما مثل شقائق البرق ، ثم
قالت : ما من شئ يفعله هذا الحبيب ابن هلال حيث كان
إلا كان عند سيدي خبره . فقالت لها ظمياء : ويبي !
أحقاً قلت يا صهباء ؟ قالت : وى ، أو كنت كاذبة عليك
وما أنا وأنت إلا من هذه الجوارى الفرييات المستضعفات ؟
ومالك تكذب بيني وإن عندى من برهان ذلك ما لا قبل لك
برده . قالت ظمياء : بالله ! قالت : بالله ، فاذهي إلى صوكان
سيديك في هذه الغرفة التى إلى جوارنا ، وأخرجني من بين
المطرف السابغ والثامن من ثياب مولاك ما يجدني !
[قالت كنم امرأة ابن أبي ربيعة] :

« فبهتت ظمياء فدخلت إلى صوكانك (تنى عمر)
فأخرجت شيئاً رجعت به إلى صهباء . ثم إذا هى تدخل على
وتقص قصة ما كان ، فأمرتها أن تأتي بصهباء لأسمع
ما تقول ، فروت لى كل ما حدثتك به يا أبا الخطاب .
(قال عمر بن أبي ربيعة) :

بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في رجوعهم ، ورمام
النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا
خائبين كما جاءوا

رمثل هذا لا يحمى من عبد الله بن أبي وإن وافق فيه النبي
صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق ليس في كلمة تقال ، ولا في فعل
يظهر بين الناس ، بل لابد مع هذا من صدق النية ، وحسن
المقصد ، وقد عول الإسلام على النية في الأقوال والأفعال
كثير من التعويل على الأقوال والأفعال في ذاتها ، حتى أثر
فيه ذلك القول المشهور : نية المرء خير من عمله

فلما سمع أولئك الشبان ذلك القول من عبد الله بن أبي
لم يأبهوا له ، واجتهدوا في حمل النبي صلى الله عليه وسلم على
رأيهم ، وقال حمزة وسعد بن عباد والنعمان بن مالك وطائفة
من الأنصار : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن أعداؤنا أننا كرهنا
الخروج جبهة عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا .
وزاد حمزة : والذي أنزل عليك الكتاب ، لا أطعم اليوم
طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة . وقال النعمان : يا رسول
الله ، لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلها . فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم : لِمَ . فقال : لأنني أحب الله ورسوله
ولا أفر يوم الزحف . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
صدقت . وقد استشهد رضي الله عنه في هذه الموقعة

وقد نظر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد أن الذين يرون
من أصحابه رأى أولئك الشبان أكثر من الذين يرون رأيه ، فبذل
طائفا على رأى ذلك الفريق الذي كان أكثر عددا ، وترك رأيه
إلى رأيهم ، وهو الرئيس الأعلى ، والرسول المبعوث إلى الناس
كافة ، لأنه رأى أن من يوافق في الرأي أقل عددا من الفريق
الأول ، فلم ينظر إلى شخصه في ذلك الخلاف ، وإنما نظر
إلى التشريع الذي يجب أن يُسنَّ في تلك الحادثة من الشورى
التي شرعها في الإسلام ، ليستقيم المسير أمرهم فيها ، ولا يقيموا
في ذلك التعصب الأعمى للرأى ، فتقلب نعمة الشورى نقمة ،
ويضل الناس بها سبيل الحكم الصالح ، وبهذا علم المسلمون
أنه يجب عند اختلاف الرأى في الشورى أن يترك الفريق الأقل
عددا على رأى الفريق الأكثر عددا ، وإن كان يرى أن رأيه
هو الأرجح ، لأن مخالفة الكثيرة أشد ضررا ، وكما يجب تقديم
النافع على الضار ، يجب تقديم الأخف ضررا على الأشد ضررا

وقد تم ذلك في غزوة أحد من غزوات النبي صلى الله
عليه وسلم ، وكانت في السنة الثالثة من الهجرة ، فقد وقع فيها
خلاف بين المسلمين انقسموا فيه إلى فريقين : أحدهما يمثل
الكثرة ، وتأييدها يمثل القسلة ، 'خَلَّ' الخلاف بينهما على
وجه لا أثر فيه للتعصب ، ولا يمكن أن يكون هناك أثر
منه في وجوه الشورى

وكان ذلك الخلاف أن رجلا من المسلمين أسفوا على ماقاتهم
من مشهد بدر ، لا كانوا يسمونه من إخبار النبي صلى الله عليه
وسلم بفضل من شهدها ، وعظيم ثوابه ، فكانوا يودون غزوة
ينالون فيها مثل ما ناله أهل بدر وإن استشهدوا ، فلما سار
المشركون في غزوة أحد إلى المدينة رأوا أن يخرجوا منها
لقتالهم ، وعرضوا رأيهم هذا على النبي صلى الله عليه وسلم

فقام صلى الله عليه وسلم ليلته فرأى رؤيا ، فلما أصبح
قال : والله إني قد رأيت خيرا : رأيت بقرا تذبج ، ورأيت
في ذباب سيقي نملًا ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة .
فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون ، وأما النمل الذي رأيت في
سيقى فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وإني رأيت أن تقيموا
بالمدينة وتدعوم يتركون حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر
مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم ورؤموا من فوق البيوت

وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيات من كل ناحية ، وجعلوا
فيها الآطام والحصون ، فكانت حصنا قويا لأهلها ، وكان الرأى
أن يقيموا فيها ، كما فعلوا بعد ذلك في غزوة الأحزاب ، فلم
يقو المشركون على اقتحامها على المسلمين ، وكانت جموعهم
فيها أكثر من جموعهم في غزوة أحد

فقال أولئك القوم الذين أسفوا على ماقاتهم من مشهد بدر ،
وغالبهم أحداث لم يمكنهم أن يشهد تلك الغزوة الكبرى ،
فأحبوا لقاء العدو وطلبوا الشهادة فأكرمهم الله تعالى بها :
يا رسول الله ، إنا كنا نتمنى هذا اليوم ، أخرج بنا إلى أعدائنا
لا يرون أنا جيبنا عنهم وضعفنا

وقد رأى عبد الله بن أبي رئيس المنافقين تلك الرغبة
الصادقة في القتال من أولئك الشبان ، فعماه ذلك منهم ،
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ،
فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها
هليتا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا

في الناس بالخروج إلى العدو ، أن يرجع حتى يقاتل . فيأله من عهد كريم بلغ فيه حكم الشورى غاية الكمال ، ولم تفرق فيه الأمة إلى أحزاب متخاصمة على الحكم ، بل ظهرت فيه كتلة واحدة ، إذا اتفق أفرادها فرائدهم المصلحة العامة ، لامتصحة حزب من الاحزاب ، وإذا اختلف أفرادها فرائدهم تلك المصلحة أيضا ، لأنهم لا ينقسمون إلى أحزاب يتنافس بعضها بعضا ، ويحملهم التعصب لها على نسيان مصلحة الأمة في هذا التفرق ، وإيثار الوفاق على الخلاف

وإذا نظر في عصرنا قوم بنظام الشورى عندهم ، فهذا نظام الشورى عندنا قد بلغ غاية الكمال ، وخلا من الميوب التي يرى بها حكم الشورى في عصرنا ، وتجعل بعض الناس يفضل عليه الحكم الاستبدادي ، وأين تشريع البشر من تشريع الله تعالى ؟ فلا تشريع أكل من تشريعه ، ولا حكم أعدل من حكمه ، فتبارك الله أعدل الحاكمين ، وأحسن الخالقين

عبد المتعال الصديقي

ولما نزل النبي صلى الله على رأى تلك الكثرة صلى بالناس الجمعة ، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد في التأهب للقتال ، وأخبرهم بأن لهم النصر ماسجروا ، وفرح الناس لذلك فرحا شديدا ، ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا ، وحضر أهل العوالي وهي القرى التي حول المدينة من جهة نجد ، فدخل حجرته وليس عُدته ، وتقلد السيف ، وألقى الترس وراء ظهره

وقد اصطف الناس مابين حجرته إلى مغبره ينتظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُصَين : استمكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج ، وقتلتم له ما قتلتم والوحي ينزل عليه من السماء ، فردوا إليه الأمر ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته ، وتقلد سيفه ، فقدموا جميعا على ما صنعوا ، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، وفي رواية — ما بدا لك — وفي أخرى — فإن شئت فاقعد

وإنه لإيثار جميل من تلك الكثرة ، ولم يحملهم عليه إلا بدء النبي صلى الله عليه وسلم قبهم بإيثار وأيمهم على رأيه ، حفظا للوحدة ، وحذرا من الفرقة ، وإذا كانت فضيلة الإيثار جميلة فيما يملك الإنسان من مال ، فكم يكون جالها فيما يعز به من رأى ، والرأى عند الإنسان أشرف من المال ، وكم ضحي بالمال في سبيل الرأى ، ولكن فضيلة الإيثار كانت ظاهرة ذلك العهد النبيل ، فلا غرو أن تبادل تلك الكثرة النبي صلى الله عليه وسلم إيثارا بإيثار ، وأن تترك رأيها إلى رأيه طائسة مختارة ، بعد أن جاهدت في تأييده ما جاهدت ، وناضلت في الدفاع عنه ما ناضلت

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن رأيه كان هو الأرجح قبل أن يؤثر رأيهم على رأيه ، وقبل أن يلبس لأمته ويتقلد سيفه ، فأما بعد ذلك فقد اتفق رأيهم جميعا على الخروج ، فإذا رجعوا عنه لم ير الأعداء إلا أنهم جبنوا عن قتالهم ، فيحملهم ذلك على الطعن فيهم ، وبعطيم قوة معنوية يسكون لها أثرها في قتالهم فقال لأوث الدين تركوا رأيهم إلى رأيه في القعود بالمدينة : ما ينبغي للنبي إذا لبس لأمته أن يضمها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . وفي رواية — لا ينبغي للنبي إذا أخذ لأمة الحرب ، وأذن

الانسانية تنشد عالما جديدا

تصوره لك هذه الكتب في جرأة وحرية وقوة وأسلوب جديد رائم اصطفاؤه المؤلف في الأدب العربي الحديث

- ١ - البعث أو مذهب المزمع ٢٠
- ٢ - هل أُنشئت مضاروة أوربا ط ١٠
- ٣ - لو أرمع بالعدل ١٠
- ٤ - مع عفتنا ، الانس و مجانبين الجوى ٦
- ٥ - أيامى أو فلسفة الجبابة ١٠
- ٦ - محاكم الزمن أو ط م م م ١٥

بقلم الأستاذ محمد العماوى ،

الناشر مطبعة الفكر الحديث بالسالية ومكتبة النهضة المصرية
بشارع عدل بالقاهرة